

# الرحمة والترف

للقدّيس يوحنا زبدي القم

مترجمة بصرف عن :

N. & P. N. Fathers

First Series, Vol. XIII

من تفسير رسالة كولوسي

يوسف حبيب

عليه حبيب يوسف

في هذا الكتاب تجد أقوالاً نفيسة عن الرحمة وعن الترف  
للقدّيس يوحنا ذهبي الفم عن كتاب :

• N. & P. N. Fathers, First Series, Vol. X III •

حقاً أنه لا يكفي التوبة عن الخطية وعدم إتيان الشر بل  
ينبغي عمل الأعمال المرضية لله والرحمة مع الآخرين - لأنه أمين  
وصادق قول الرب : طوبى للرحماء لأنهم يرحمون .

في قصة الغني ولما سأل الواردة في الإنجيل المقدس نرى أن  
الغني كان يتنعم كل يسوم بالمال كل والملبس ، ولم يأت شيئاً من  
الرحمة ، ومع أنه لم يذكر عنه أنه كان يفعل السيئات لكنه هلك  
معدباً لأنه كان قاسى القلب عديم الرحمة ...

كذلك العذارى الجاهلات الآتى لم يأخذن زيتاً في آئنتهن -  
وهو عمل الرحمة - كان نصيبهن الهلاك ...

ومن أجل ذلك نرى أن السيد الرب عندما يدعو مختاريه  
للملكوت لا يقول لهم سوى :

• تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم  
لأنني جعت فأطعمتوني ، عطشت فسقيتوني ، كنت غريباً  
فأقربتموني ... متى ٢٥ : ٢٤ - ٣٠ .

ليت الرب يصنع معنا رحمة كمعظم رحمة بشفاة القديسة  
العذراء مريم وجميع صفوف القدّيسين آمين .

## الرحمة

مقدمة عن أسباب الصداقة :

يقول ذهبي الفم :

هناك أسباب كثيرة تنجم منها الصداقة :

تنشأ الصداقة الطبيعية عن العلاقات في الحياة . فمن الناحية  
الاجتماعية مثلاً نرى من ينال إكراماً ، أو يجد صديقاً قديماً في  
العائلة ، أو يكون زميلاً على المساعدة أو في أسفار كثيرة ، أو  
جاراً لآخر .

ومن الصداقة ما يكون من ذات اللبنة وهذه الأخيرة ليست  
دائماً خالصة ، لأنها قد تتأثر ببعض المنافسة والغيرة . بخلاف  
الصداقة الطبيعية كصداقة الأب لابنه ، والابن لآبيه ، والأخ  
لاخيه ، والجد لأحفاده ، والام لابنائها ، وأيضاً صداقة الزوجة  
لزوجها ، لأن كل الارتباطات الزوجية هي أيضاً من سنة الحياة .

ومن الصداقة ما هو أقوى ، حتى بالنسبة للصداقة الطبيعية ،  
فيظهر الأصدقاء أحياناً استعداداً أفضل ونبلاً أكثر لنا يظهره  
الإخوة أو الأبناء نحو آبائهم ، فبينما نرى من أنجب الإنسان  
لا يريد أن يعينه ، نجد من لم يعرفه يقف بجانبه .

الحبة الروحية أعلى من الكل ، هي ملكة تحكم كل رعاياها ،

وفيها يكون الطير واضحاً ، لأنها لا ترتبط بأى شيء أرضي ، أو علاقة عادية ، أو مكاسب ... انها نازلة من فوق ، من السماء ... يقول القديس بولس الرسول : « فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسابي حسب الجسد ، ( روم ٩ : ٣ ) . أى أب يود لو تكون حالته كهذه ؟ وقوله إنه محصور من الإثنيين : « لي اشتباه أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذلك أفضل جداً . ولكن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم ، في ١ : ٢٣ - ٢٤ .

وأيضاً : « وأما نحن أيها الإخوة فإذا قد فقدناكم زمان ساعة بالوجه لا بالقلب اجتهدنا أكثر باشتباه كثير أن نرى وجوهكم . ١ تس ٢ : ١٧ .

حقاً أنه هنا ، حينما تلتحق الاب إهانة قد تبرد محبة ، لكن ليس هكذا الحال بالنسبة للذبة الروحية ، لقد ذهب القديس بولس إلى الذين رجوه ساعياً في عمل الخير لهم . لأنه لا شيء أقوى من رباط الروح . لأن من يصبح صديقاً من جراء تسلمه أرباباً ، سوف يصبح عدواً إذا انقطعت عنه . والذي جعلته العلاقة العادية غير مفترق ، سوف يترك صداقته تنطق حينما تنقطع العلاقات ، وإذا حدث خلاف تترك الزوجة زوجها وقد

تنطق بحبها ، والابن حينما يرى أن أباه وصل إلى شيخوخة كبيرة يصبح غير راض . لكن في المحبة الروحية ليس شيء من هذا ، لأنها لا يمكن أن تتحل لسبب من هذه الأسباب نظراً لأنه لا تدخل فيها عناصر الزمن وطول السفر ، ولا تتأثر بالكلام السيء ولا الغضب ولا الإهانة ، ولا شيء يقهرها أو يستطيع فضها . وقد طلب موسى النبي من أجل الذين كانوا يريدون رجوه : فصرخ موسى إلى الرب قائلاً « ماذا أفعل بهذا الشعب . بعد قليل يرجونني ، خر ١٧ : ٤ . أى أب يفعل ذلك من أجل من يرجوه ؟ ، كان يوم يرجوه حتى الموت ...

### الرحمة بالفقراء ١

لتتبع إذن هذه الفضائل التابعة من الروح ، لأنها قوية ، وصبب انهائها ، وتترك تلك الصداقات التي تقوم على المائدة ... اسمعوا السيد المسيح يقول في الإنجيل : « وقال أيضاً للذي دعاه إذا صنعت غذاء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا اخوتك ولا اقرباءك ولا الجيران الأغنياء لكلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة . بل إذا صنعت ضيافة قادم المساكين المجدع العرج العمى ، لوقا ١٤ : ١٢ - ١٣ .

حقاً ، عظيمة هي مثوبة هذه الأفعال . إنك لا تستطيع

ولا تتحمل أن تقم ولبسة للمرج والعمى ، بل انك تحسبها مهانة  
وشيئاً عزيزاً فترفض . وكان الافضل حقاً ألا ترفض ، على أى  
حال ليس ذلك ضرورياً . إذا كنت لا تجلسهم معك ، فأرسل  
إليهم بما على مائدتك . ان الذى يدعو أصدقاءه ، لا يأتى عملاً  
كبيراً : لأنه أخذ أجره هنا ، لكن الذى دعا الجدد والفقراء ، فله  
الله كدين . فلا تتذمر إذن حينما لا تأخذ مكافأة هنا ، حينما  
تأخذ ، لا يكون لنا رصيد هناك ، وبفسف الطريقة ، إذا كان  
الإنسان 'يكافئ' ، فانه لا يكافئ . وان كان الإنسان لا يكافئ . فحينئذ  
تكون المكافأة من الله . إذن فلا تبحث عن لديهم المقدرة لأجل  
المنفعة فيردوا لنا ثمانية ، ولا تمنحهم رعايتنا متوقفين مثل هذا :  
انها فكرة خاطئة أن تدعو صديقاً ، فالعرفان بالجميل يبقى حتى  
المساء ، والصداقة لظرف الدعوة تذهب بسرعة أكثر من  
تكفلك بالنفقات . لكنك إذا دعوت الفقراء والجدد ، فلن  
يفنى عرفان الجليل أبداً ، لأن الله ، الذى يذكر دائماً لا ينسى أبداً ،  
لك هو نفسه كدين . ما هذا التسرع فى الاستمتراز حتى لا تستطيع  
أن تجلس فى حصة الفقير ؟ . لملك تقول انه قدر غير نظيف ؟  
أعطه لكى يقتسل واقتاده إلى مائدتك . لا يباه قدرة ؟ إذن  
فأبدلها وأعطه ملابس نظيفة . ألا ترى كم هو عظيم ذلك الربح ؟  
ان المسيح يأتى إليك عن طريقه ، وأنت تحسب حساباً تافهاً مثل

هذه الاشياء . ؟ . حينما تدعو الملك إلى مائدتك أنتشى أشياء  
مثل هذه ١١٤

انا إلى الآن لانبحث عن الاشياء التى هى بعد الزمن الحاضر  
فلا زلنا نشناق إلى الامور التى ترى - الومنية - ولا نتوق إلى  
الامور التى لا ترى - الابدية - . . . إلى مائدة الفقراء يكون  
المسيح جالسا ، وإلى المائدة الاخرى أناس جلوس . الاولى لها  
السيد وللأخرى الخدام .

وإذ ندع هذه الامور الآن لنترى أية واحدة منها لها  
التصيب الاكثر من اللذة الحاضرة . انه بالنسبة لهذا أيضاً فالاولى  
لها قسط أعظم ، لان الجلوس مع الملك له بهجة أكثر من الجلوس  
مع خدامه . فى الاولى له أن يسمع ويرى كل شىء بحرية وبارتياح  
وفرح فى الهبة الروحية . . . أما الآخرون فيتضايقون ويتخافون  
ويخزون أمام الذين يجلسون معهم من الكبراء والعظماء . وكانهم  
أمام سادة ويخشى بأسهم . لكن يقول أحد أن الشرف لعظيم .  
كلا ، بل الآخرون فى شرف أكثر ، لان حالة الاولين الوضيعة  
تظهر بالاكتر ، حتى وهم مشتركون فى نفس المائدة أيضاً ،  
الكلمات التى ينطقون بها كلمات عبيد ، لان العبيد يظهر هكذا  
أكثر وضوحاً من أى وقت حينما يجلس مع سيده ، لأنه فى مكان

لا يجب أن يكون فيه ، وليس له أيضاً من جرأ هذه القرية  
كرامة كثيرة بقدر ما له من الدالة .. لأن الرضيع حينما يكون  
غريباً من المتعالى يظهر وضيقاً أكثر لأن المقارنة تجعله كذلك  
ولن يظهر أعلى مما هو عليه .

تئين في هذين الأمرين إذن الأفضلية ، الأفضلية في الحرية  
وفي الشرف الذى لا يعادله شيء ، لأن لقمة بابسة مع الحرية  
أفضل من آلاف اللذات مع العبودية ، والكتاب المقدس يقول :  
« أكلف من البقول حيث تكون المهبة خير من ثور معلوف ومعه  
بنفضة ، أم ١٥ : ١٧ ، لأنه فيها قال الكبير في هؤلاء يلزم على  
الحاضرين أن يمدحوه ، هم في درجة المتطفلين ، أو بالحرى منهم ،  
لأن المتطفلين بالحقيقة هم في حوزة ومهانة ...

إن كثرة الأطمعة الفاخرة تبيد بالاهتمام الذى يسبقها وقد  
يلحقنا بسببها التخممة وهذه تهدم أجسادنا وتلفها .

ويضار الإنسان بالتخممة أكثر مما بالجوع ، فالجوع يمكن أن  
تتعلمه بسهولة أكثر من التخممة ، نستطيع أن نتعلم الجوع لمدة  
طويلة ، أما التخممة فلها آثار سيئة على أجسادنا . ونرى سكان  
الريف الذين يجاهدون بصفة مستمرة أصحاب لا يحتاجون إلى أطباء .

الشرف خير من العار ، والحرية خير من الخضوع ، وثقة

الرجل خير من الحرف . وإذا كان التمتع بما هو كاف خير من  
الانفاس في تيار الترف ، فلذلك تكون هذه المائدة أفضل من  
الأخرى ...

إن الداعى للولائم أو يدعو الأصدقاء يستعد لعدة أيام هو  
مضطرب أن يتحمل الانزعاج وكثرة الإهتامات والتفقات ، وحينما  
يأتى يوم الويلة يبدو على وجهه خوف اعظم من خوف الذين  
يذهبون إلى مباراة الملاكمة ، لأنه يخشى أن يباغته من الأمور  
ما لا يتوقع . أما الآخر فبعيد كل البعد عن هذا التفكير المقلق  
والانزعاج المضنى ، لأن كل الأمور تسير في بساطة ويسر ، وقد  
يخسر الأول عرفان أصحابه بالجميل ، وكان الله للأخر كدين ، وهو  
في كل يوم يفرح لأن أجره في السماء باق لا يزول ...

تسمع في ولائم الاغنياء أصوات المزمار والقيشارات  
والاعواد ، أما هنا فلا توجد أصوات غير لائقة ، لكن ترانيل  
وترانيم ومزامير . هناك بالحقيقة يرتلون للشياطين ، أما هنا  
فلسيد الكل ، الله تعالى . ترى بأى عرفان للجميل تمتلئ الواحدة  
وبأى نكران وجود تمتلئ الأخرى ؟ نعم حينئذ يكون الله  
قد غذاك بخيراته تقدم لجلاله الشكر وتقول : « مبارك أنت يارب  
لانك غذيتى بخيرائك » .

أما بعد الترفيه الزائد يكون البطر وأيضاً التخممة والسكر

وقد يجعلان صاحبها مثل العرج والقطع ، وكما تكون أجساد هؤلاء العميان والقطع والعرج تكون أرواح هؤلاء في الكبرياء والبطر والسكر أشد قبحاً . وأولئك الذين يبحثون عن الكفاف وحده ولهم فلسفتهم في ذلك هم في ضياء جزيل ...

هناك مسرات الدنس والضحك الخليع والسكر والمجون والكلام القبيح ، وأما هنا فيقلب حب الإنسانية والعطف والوداعة والتعفف .

هناك القسوة عن طريق الظلم والخطف وقد تنتهي إلى اختلال الوعي والهدر وسائر مخلفات المجد الباطل ، أما هنا فيطيب تقديم الشكر والمجد لله .

إن الذي يرحم الفقراء ويجلسهم إلى مائدته ينجيهم الرب من الشدائد والضيقات في هذا الدهر ويخلصهم من العذاب الأبدي في الدهر الآتي حينما يأتي ليدين المسكونة بالعدل ويجازي كل واحد حسب أعماله . الأارلون يدخلون إلى الفرح بعدما يسمعون أمام العالم أجمع ، ولأنى جمعت فأطعمتهموني ، عطفت فسقيتهموني كنت غريباً فأويتهموني ، متى ٢٥: ٣٥ . أما الآخرون فيسمعون العكس ، العبد الشرير الكسلان ، وأيضا : « ويل لكم أيها المضطجعون على أسرة من العجاج والمتمددون على فراشهم والآكلون خرافا من الغنم وعجولا من وسط الصيرة . الهاذرون

مع صوت الرباب المنخرعون لأنفسهم آلات الغناء كداود الشاربون من كؤوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهان ولا يفتنون على انسحاق يوسف ، عا ٦ : ٤ - ٦ .

قد يقول قائل انى أريد أن اتخذ بعض الأصدقاء لكن مثل هذا الإنسان فانه أنه ليس أنفه من الرجال الذين يصيرون أصدقاء عن طريق المائدة والتخمة ... أما مؤانذ الفقراء فلا توثق عرى الصداقة مع الناس بل مع الله . انها صداقة متينة ، فاهم أن توطدها ...

إن الله لا يطلب منا أن نعطى كثيراً أو قليلا ، لكن ما لا يقل عما في مقدورنا . أنظر إلى صاحب الخمس وزنات والذي له الوزنتان . « فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة . كل واحد على قدر طاقته . وسافر للوقت ، متى ٢٥: ١٥ . ونفكر في التي ألفت هذين الفلسين « لجاءت أرملة فقيرة وألفت فلين قيمتهما ربع ، مر ١٤: ٤٢ . وتلك الأرملة التي كانت في أيام أليشع (١ مل ١٧) . هذه التي ألفت الفلسين لم تقل ، وأى ضرر يكون إذا احتفظت بالفلس الواحد لنفسى ، وأعطيت الآخر ؟ ، بل أعطت كل مبيشتها . فلننظر إلى أنفسنا في العطايا التي تقدمها لله ... ولا نهمل أمر خلاصنا ، لنوطد أنفسنا على

الإحسان ، فلا شيء أفضل منه وسوف يظهره الدهر الآتي ،  
ويظهر في الحاضر أيضاً .

لحيا إذن لمجد الله ، ونعمل الأمور التي ترضيه لكي نحسب  
مستحقين للخيرات المنتظرة ، ليتنا نألفها جميعاً ، بالنعمة وبهبة  
البشر التي لليسوع يسوع ربنا ، الذي له المجد إلى الأبد آمين ؟

+ + +

## التترف

التترف لذة وقتية زائلة

إذا أردت أن تفحص قيمة التترف . تأمل قليلاً لتعلم ، ليس  
غباراً ؟ نعم ، إنه يمضي وشيكا بسرعة أكثر من الغبار ، لأن  
لذة التترف تحصل فقط إلى اللسان ، أو تكون حينما تمتلئ البطن  
بالطعام .

ولن تكون الكرامة في ذاتها مبهجة وسارة إلا حينما تكون  
عن حرية اختيار وعن استعداد ذهني ، ولست بمحاصد لهذه  
الكرامة بسبب ثروتك .

قد يكرمك الناس لاجل كبير مع ما يعرفونه عنك انك

غير أهل لشيء من هذا ، وإنما هم مضطرون إلى تكريمك من  
أجله . فهل هناك ما يجلب عليك تورطاً أكبر من هذا . جعلت  
ثروتك سبباً للخزي لأنهم إنما يكرمونك بسبب مالك وبما تقدمه  
على أصحابك ، أما في بواطنهم فيخفون الاحتقار والازدراء ،  
وتقوم ثروتك برهاناً على الضعف أكثر مما هي على القوة . أفلا  
يكون من السخف أن نحسب من ذوى المنزلة الرفيعة ونحن نكرم  
من أجل المال . الأفضل ألا نكرم بشائناً من أن نكرم بهذه  
الطريقة .

إن قال لك أحد إنى افتكر انك لا تستحق كرامة البيت ،  
لكن لاجل خدامك أكرمك ، هل يكون هناك حرج أكثر  
من هذا ، وإن كان الإكرام لاجل الخدام ، الذين هم شركاء معنا  
في الإنسانية بسبب المذمة ، فكيف نكون إذا كنا نكرم لاجل  
الحجارة ، وأقنية المنازل ، والأواني الذهبية والملايس ؟ إن ذلك  
بالحقيقة ذلة وعار ، وخير لنا ألا نكرم بهذه الطريقة . لأنه إذا  
وقعت في خطر بسبب كبريائك وتلست من وضع أن ينقذك  
فهل هناك ما يملأ القلب غصصاً أكثر من ذلك ؟

ما هي معايير الكرامة ؟ ترى هل أيدي الطبّاخين هي التي  
تجعلنا أهلاً للإكرام ونعترف لهم بالفضل والعسر إذ يقدمون

لنا من اللحوم على المائدة؟ أم اصناع المعادن والحلوى ومعدى  
المسواقد؟

انك لن تجد نفساً مفعمة بالصهوات المفرطة مثل نفوس  
أولئك الراغبين في أن يصيروا أغنياء . هي تفاهة يصورونها  
لأنفسهم ، أمسوا كرسامى الوحوش نصفها إنسان ونصفها  
حصان ، أو لها رأس أسد وذيل ثعبان أو جسم عنزة تلفظ ناراً  
من أفواهها ، أو الكائنات التي لها أقدام التانين ...

ولو أردنا أن نأتى بصورة لشهوة واحدة من شهواتهم مع  
كون هذه الصورة لا يمكن أن تظهر شيئاً البتة من القبح بجانب  
ما يتصورون ، ففي نفوسهم صورة لكل حيوان مفترس ...

وان قوما وصلوا إلى هذا الحد من الترف ويشمنون لو أن  
كل شيء أصبح لهم ، واخوانهم المخلوقون على صورة الله يهلكون  
من البرد والجوع ويسرون إذ يرون غيرهم يعانون العاقبة وهم في  
النعم مقيمون ، فأى صفح من الله هؤلاء يرتجون ؟ ١٤

المجد لك أيها المسيح ، كم من الخيرات اغدقت علينا ؟ لقد  
اعتنيت بنا وحررتنا من الجهالة وقصور الإدراك ...

ويقول القديس : إنى انذركم سلفاً ، إنى لا أنصح بعد بل

آمر ، وليطع من شاء ، وان استمر النساء في عدم الاحتشام  
فإن أقبل وإن أسمح لمن أن يعبرن هذه العتبة ، لأنه ما حاجتى إلى  
جمهور من السقام ، لا يقبل التعاليم ؟ إنى أمنين لأن القديس  
يولس ينهى عن زينة النساء .

يقول : ، وكذلك ان النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة  
مع ووع وتمقل لا بصفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة  
اللون ، ١٠ ق ٢ : ٩ .

وإلى الشباب أزجى النصح وعن المخالفين لن أرضى .

الرسلم لم يكونوا سوى اثني عشر رسولا ، واسمعوا ما قاله  
السيد المسيح لهم ، العلمكم أتم أيضاً تريدون أن تمضوا ، يوحنا  
٦ : ٦٧ .

إننا إذا أسرفنا دائماً في إطرائكم ، فنى نصلحكم ؟ أو متى  
تخدمكم ؟ لكن يقول قائل : ، هناك طوائف أخرى وإليها الناس  
يذهبون . . ان هذا الرد غير مقبول لأن واحداً يفعل مشيئة  
الرب أفضل من عشرة آلاف من المخالفين ، فاذا تختار لنفسك ؟  
أىكون لك عشرة آلاف تابع من الهاربين والصوص ، أم  
واحد يجبك .



إني انصحكم وأمركم أن تحطموا تلك الرينات وتسلكوا  
بخوف الله ...

من شاء فليتركني في الحال، ومن شاء فليتهمني ، فلن احتمل  
المخالفة وإني مزعج أن أحاكم لدى محكمة المسيح . أتم تقفون  
بعيذاً ، بينما أنا أعطى الحساب كما يقول القديس بولس أيضاً :  
• إني إذا جئت أيضاً لا أشفق ، ٢ كو ١٣ : ٢ .

لكن ان فعلتم كما يجب حينئذ تعلمون كم يكون الربح عظيماً  
والامتياز كبيراً . إني أرجوكم وأنوسل إليكم ، ولا أرفض أن  
أعانقكم ان أطعمكم ... كم من فقراء يقفون حول الكنيسة لهم  
أولاد كثيرون ، ومنكم الاغنياء لا يخففون عنهم ثقل الحياة -  
الواحد يجوع والآخر يسكر - ١ كو ١١ : ٢١ - واحد يمتلئ حتى  
يتخم من مختلف أنواع الاطعمة وآخر ليس له حتى الخبز !!

لترك طرفنا الشرير، ولنحيا لمجد الله فنخلص من العقاب في  
العالم الآخر ، ونسال الخيرات الموعودة للذين يحبونه وله المجد  
إلى الابد آمين ؟



لا تلسي اقتناء كتاب شرح حسابات  
الكنيسة تأليف : هليكه حبيب يوسف  
ويوسف حبيب